المحاضرة الخامسة

1_ الفحص النفسي: Examen psychologique

لو وددنا إعطاء تعريف للحالة النفسية فإننا نقول بأنها: هي متلازمة يصاب بسببها الشخص باضطرابات تظهر كخلل نفسيّ في مشاعر وعواطف الشخص، وعلى قدراته المعرفيّة، وفي سلوكيّاته، مما ينعكس على حياة المريض الاجتماعيّة، والعمليّة، والتعليميّة. وهناك العديد من الأمراض النفسية التي من الممكن أن يعاني منها الشخص، تُعرف بالأمراض النفسية، لعلّ أكثرها شيوعًا: اضطرابات القلق، واضطرابات المزاج بما في ذلك الاكتئاب، واضطرابات الأكل، والوسواس القهري، والاضطرابات النفسية المرتبطة بالتعرّض لضغوطات أو صدمات، والاضطرابات النفسيّة عند الأطفال، مثل قصور الانتباه وفرط الحركة. **(خديجة : 2017)**

وهنا يعتبر فحص الحالة العقلية أو فحص الحالة النفسية، جزءا هاما من الفحص السريري للمريض في كل من الأمراض النفسية والعصبية، فهو يتضمن فحصا منظما للمريض في كل من النواحي التالية: المظهر العام، السلوك، الحالة المزاجية، الكلام، عملية التفكير ومحتواها، الإدراك الحسي، الاستبصار بالحالة المرضية والحكم على الأمور، كما هناك بعض الاختلافات البسيطة بين الإصدارات الفرعية للفحص من حيث الترتيب، كأسماء أجزاء الفحص أو محتواها.

1_1 الأصل النظري للفحص النفسي:

أتى فحص الحالة العقلية من إحدى مقاربات الطب النفسي تعرف بالتوصيف النفس_ مرضي أو علم التوصيف الأسلوبي والذي أتى من عمل الطبيب النفسي والفيلسوف **كارل ياسبرس**، ومن وجهة نظره تكونت الطريقة المثلى للتعرف على حالة المريض عن طريق وصفه هو شخصيا للحالة ويتم ذلك عن طريق التعاطف مع المريض بعيدا عن التنظيرات العلمية ودون أن يؤدي الفاحص دور المراقب ويعتبر ذلك اختلاف عن الطريقة التحليلية القائمة أساسا على فهم الفاحص للتفاعلات التي لايدري بها المريض كالحيل الدفاعية أو الإنسياقات اللاشعورية، أما في التطبيق العملي فيعد فحص الحالة العقلية خليطا من النوعين؛ فقد ثار النقاش حول الأمر طويلا من حيث كون الفحص يعتمد على تجربة المريض أم خبرة الفاحص وقدرته على اكتشاف العلامات المرضية والأعراض.

وإلى هنا يُعد فحص الحالة العقلية مهارة أساسية للمشتغلين بالطب النفسي كما يعد جزءا أساسيا في الفحص النفسي سواء بالنسبة لمرضى

العيادات الخارجية أو المحجوزين داخل المستشـفيات، إذ أنـه طريقـة منظمـة للحصول على المعلومات من المريض أثناء إجـراء الفـاحص المقابلـة الطبيـة معه، ويتمثل الهدف الأساسي منه في اكتشاف الأعراض والعلاجات المرضـية بمـا في ذلـك احتماليـة الأذى للنفس أو الغـير وتحديـد مـدى خطـورة هـذه العلامات، كما يتم الاستفادة من المعلومات حول الاستبصار بالحالـة والتفكـير التجريدي وقدرة المريض على الحكم على الأمور في اختيار أنسب العلاجـات لحالته وأفضل الخطط للتعامـل مـع مرضـه، ويتم إجـراء الفحص في صـورة استبيان غير رسمي يتضمن أسئلة مغلقة وأسئلة مفتوحة مدعومـة بفحوصـات لقياس مدى إدراك المريض.

كما يمثل فحص الحالة العقليـة جـزءا من الاختبـار الطـبي الشـامل الـذي يجريه الأطباء المختصون والطاقم التمريض في إطار الفحص العام للمريض وإن كان يتم إجراؤه بطريقة أكثر اختصار وتكثيفا في مثـل هـذه الحالـة؛ ويتم تسجيل البيانات في صورة بيانات حرة تحت العناوين الرئيسـية للفحص، ومـع ذلك تتوافر قوائم فحص مصغرة وسريعة وذلك بأقسام الطوارئ ولدى بعض المساعدين الطبيين.

1_2 الفحص النفسـي للمريض:

هناك طرق عديدة في الفحص النفساني للمريض بعضها مصمم لاستخدامه في مجال البحث العلمي والدراسات الماسحة، مثل جدول أعراض الحالة العقلية، وجدول أعـراض الحالـة النفسـية، والطـرق المتعـددة الأوجـه للمرضى المنـومين في المستشـفى الـتي تتم بالمعاينـة النفسـانية، وبطريقـة فحص الحالة العقلية الحاضرة، التي تعمل على تسجيل ما وصلت إليه الحالـة من تطور في جداول التقـييم السـريري العصـبي النفسـي، ومن بعض طـرق فحص المريض النفساني مصـمم لاسـتخدامه في مجـال المعاينـة السـريرية التي هي نوع من التواصل اللفظي بين الأخصائي والعميل إذ يقـوم كـل منهـا على التحدث وبالاستماع للثاني من حين إلى آخر.

يـرى **فيصل عباس 2003** :أنّ الفحص النفسـي يقـوم على العلاقـة المتفاعلة بين العميل والأخصائي من خلال الحوار المتبادل والتفاعل الدينامي فيما بينهما، ويرتبطبينهما أيضا فن الحديث بـالموقف العيـادي، وهـذا بـالالتزام في كل المقابلات مع المفحوص، كما يتوقف على الفاحص من خلال العلاقة التي يبنيها من تعاطف وتفهم وتقبل للمفحوص حـتى يتم مسـاعدته، وتتحـدد مكانة العلاقة بالأمور التالية :

- المكان والمجال الذي تحدث فيه العلاقة العيادية ،ولهذا يجب توفير جـو من الراحة والطمأنينة، وأن يكـون المكـان هادئـا بعيـدا عن الضوضـاء والمثيرات الخارجية، حتى لا يتشتت ذهن المفحوص وإثارة القلق لديه .

- حرية التعبير في ترك المفحوص التعبير على مشاكله بكل حرية، خاصة فيما يريد قوله، وكيف يريده، وهذه لديها دلالة إكلينيكية تساعد الفاحص الغوص في مشاكل المفحوص وفهمها .
- حسن الإصغاء يعني لابد على الأخصائي النفساني التفاعل مع شخصية المفحوص من خلال أسلوبه في الحياة، وانفعالاته، وتخيلاته وأفكاره من خلال إدراكه للأمور وكيفية التصرف إزائها، ويجب عليه البحث دائما في أصول وأسباب المرض، وهذا من خلال الإصغاء التام، وهذا يساعده في نبرة صوت المفحوص، من خلال أذن موسيقية مرهفة، وأيضا من خلال الاحساس بقلق المفحوص بأذان مفتوحة صاغية مركزة .
- على النفساني التزام الحياد والاحتفاظ بذاتيته، وعدم إقحام تجاربه الشخصية العديدة، وكذلك التزام الابتعاد عن التأثير في اتجاهات المفحوص كالقيم الدينية والاجتماعية والخُلقية ...الخ وخاصة تجنب الأحكام السابقة من خلال حديث المفحوص بتفضيل جزء عن آخر.
- الملاحظات من قبل الأخصائي النفسي التي تتمثل في الإحساسات من حيث الصفاء أو التلبد والتوافق في عملية الارتباك أو الذهول، ونوع الانفعال من حيث الشدة والاستمرار في تعبيرات الوجه وتوتر العضلات، والنشاط العام للحالة ، واهتمام الحالة بالدوافع والاستعدادات والعادات التي تحدد هذا النشاط.
- الاتجاه العقلي العام من: معتقدات الحالة وسلوكاتها أي المحتوى العقلي للعميل خاصة ما يتعلق منها بأفكار تقدير الذات الزائد أو التقليل منها وأفكار توهم المرض والإنعدامية والأفكار المرجعية، والهذاء، وعملية الإدراك التي تتمثل في حالات الاضطراب النفسي وخاصة الهذيان، والحالات الانفعالية للحالة وخبرات الحالة الإدراكية ومدى إدراكه أن الهلاوس نوع من الاضطراب، مع التركيز على الذاكرة من ناحية نوعيها البعيدة أو القصيرة المدى عند ذكر البيان الزمني عن تاريخ حياته.

3_1 وضعية الفحص النفساني:

يتطلب فحص المريض النفساني في مجال المعاينة السريرية وسائلا أو اختبارات مادية تظهر وتقيس بالأرقام أو ترسم مخططا على شاشة الحاسوب شكل المرض وتطوره كما هو الحال في كثير من الفحوصات الطبية الجسمية، في حين أن الوسائل الأساسية للأخصائي في الفحص النفساني في مجال المعاينة السريرية هي حواسه من سمع ،ونظر ،وحكمته في استخدامه للمحاكمة السريرية، هو جمع المعلومات وتنسيقها وتحليلها، لذا فإن

الفحص النفساني في المعاينة السريرية يعتمـد بشـكل رئيسـي على إنصـات الأخصائي إلى العميل وتركه يتكلم ويعبر عن معاناته وكل ما يجـول بخـاطره بعفوية تامة، وكذلك إلى مرافقيه من أهلـه وأصـدقائه المقـربين، إضـافة إلى دقة ملاحظته لتصرفات الشخص ومظاهر انفعالاته والعواطف التي تبدو عليه وتكوينه النفسـي بشـكل عـام ، وقـدرة الطـبيب في مسـاعدة الشـخص على استرجاع ذكرياته أو وصـفه لأحاسيسـه وخبراتـه ومعاناتـه، ممـا يسـاعد على الإلمام بحالته المرضية النفسـانية وانفعالاتـه، كمـا أن تفهم الطـبيب للعوامـل البيئية والإنسانية التي تؤثر على حالة الشخص لها تدخل في عملية التشخيص أيضـا، أي على الأخصـائي أن ينظـر إلى الشـخص من خلال ثلاث مسـتويات : الأول هو الجانب الحيوي (البيولوجي) ،و الثاني هو تكوينـه النفسـي وصـفاته الشخصية ودوافعه ، والثالث هو الخلفية الاجتماعية والبيئية والثقافية والأسرية ، وهذا ما يسمى بالمجال الثلاثي الحيوي –النفسي - الاجتماعي .